الأدب الأوربى
وأثر العربية فيه

د/ زهران محمد جبر

تأثرت اللغات الأوربية تأثرا واضحا وكبيرا باللغة العربية ، ويتضح هذا التأثر من خلال الكلمات العربية الكثيرة المستعملة فى تلك اللغات ، فنجد اللغة الفرنسية فيها من الألفاظ العربية أكثر مما دخلها من اللاتينية ، وفى اللغة الانجليزية أكثر من مائتى كلمة عربية وقد استعمل الافرنج أكثر من تسعمائة لفظ عربى فى لغتهم • « حيث تقدمت الثقافة العربية بأسبانيا المسلمة تقدما ظاهرا وتخلفت الثقافة المسيحية » (١) •

يشير المستشرق (لامانس) فى بحثه « ملاحظات على الألفاظ الفرنسية المشتقة من العربية » الى الألفاظ العربية التى أدخلت الى اللغة الفرنسية ومعاجمها ، وتظهر تلك الاستعمالات خاصة فى جنوب فرنسا •

وفيما يلى نسوق بعض الأمثلة للدلالة على مدى تأثير العربية على اللغة الفرنسية بسرد ألفاظ مازالت تستعمل حتى الآن وصارت من صلب اللغة الفرنسية •

اشترى Acheter الكلمة الفرنسية مقتبسة من لفظة Achatar

البرتغالية وهى من كلمع اشترى العربية •

---

(١) ص ٢٥٨ الأدب المقارن طه ندا •

القبة Alcova أصلها Alcoba فى كل من الأسبانية والبرتغالية •

أفيون Affion مصطلح صيدلى قديم أصله عربى وهو (أفيون) أيد Aider أصل الكلمة الفرنسية من Ayuda الأسبانية وكان يقال Afuda و Aida بالفرنسية من Ayuda الاسبانية ومازال سكان باريس ينطقون بها هكذا Aua مما يؤكد الأصل العربى (أيد) • الماضى Alamadie هو نوع من الزوارق الافريقية اشار « لتريه » الباحث الفرنسى الى أن أصله عربى من كلمة ماضى ومعناها يمضى ويمخر عباب الماء • المناخ Almanach ومعناها تقديم (أى تقديم المناخ) ألف Alpha هى أول حرف فى الأبجدية العربية أو العبرية ومعلوم أن الالفبائية من اختراع الكنعانيين العرب وهم الفينقيون وعنهم أخذها الاغريق ثم اللاتين • الغزال Algazelle عنبر Amber

قنا وقناة Cauna والقناة كل عصا مستوية • قميص Chemise صك Chéque كان معناه فى صدر الاسلام سنددين •

صور Cor من الآية الكريمة (ونفخ فى الصور) انبهر Ebahir معناها بالفرنسية اندهش وبالعربية انقطع نفسه من السعى الشديد أو (مجازا) من الدهشة وهو المعنى المبذول فى العامية ويقال بالاسبانية : Em • bair فلك Felouque (السفينة) مطرقة : Macraque يقال لها Matras فى الاسبانية مترس Marras المترس والمتراس مايستتر به من العدو وهو من الترس ومعناه صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية (١) •

---

(١) انظر مجلة اللسان العربى الصادرة عن جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٠ •

ما سبق ايراده مثل بسيط لتوغل الكلمة العربية فى اللغة الفرنسية وبنيتها ومن ثم صارت أساسا من أسس الثقافة الفرنسية التى تحمل معها خصائص ــ ولا شك ــ عربية وان كانت الكلمة العربية قد أخذت وضعها من تأثر الأدب الفرنسى فى كل مجالاته بالأدب العربى •

ونورد جمـــلة من الألفـــاظ العربيـــة وأثرها فى الانجليزية (١)

فتش	Feteh	الغارة	Algarad
شـــطر	Shatter		
مستور	Myster	الغزال	Algazel
صنارة (مصيدة)	snare	الجبر	Algebra
وهم	whim	العالية	Algalia
ضم	Dim	الجوهر	Aliofar
احتشم (خجل)	Shame		
فنى	wane	الطبل	Atabal
فهق	Neigh	عفريت	Afreet • afrit

عاشت اللغة العربية فى بعض البلاد مئـــات الســـنين ولكنهـــا انحسرت ، وان لم يمنع ذلك الانحسار من تفـــاعل تراثها وتأثيرها فى لغات كثيرة وآداب عالمية متعددة •

انحسرت اللغة العربية عن بعض البـــلاد مثل أسبانيا وصـــقلية

---

(١) انظر ص ٣٧ من مجلة اللسان العربى الصادر عن مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى عام ١٩٧٦ م بالرباط (المملكة المغربية • بقلم/ جيمس بيتار وحبيب سلوم مجلد ١٣ •

وجنوب ايطاليا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط وغيرها ، ولكن بعد أن تركت جذورا عميقة فى لغات هذه البـــلاد وآدابها ، وروح الأدب العربى بقيت تمتد الى الآداب الأوروبية تمدها بصـــفة عامة ، والأدب الأسبانى بصفة خاصـــة ، حتى ان كثيرا من الباحثين لاحظوا أوجهـــا عـــــدة للشبه بين القصص العربى وبين بعض القصص التى عرفت فى أوربا فى العصور الوسطى ، مثل قصة « ايزولد ذات اليد البيضاء » و « فلورا أو الزهرة البيضاء » وهذه الأخير شديدة الشبه بقصة كانت شائعة آنذاك ، هى قصة القاسم • ونيقوليت ، وهى ذات أصـــــل عـــــربى •

وقد افتتن الأوربيون « بألف ليلة وليلة » فترجموها ، وظهرت ونشرت حتى الآن أكثر من ثلاثمائة مرة بمختلف اللغـــــات الأوربية ، وكانت ذات أثر فعال فى خلق روح المغامرة عند الاوربيين ، كما أثرت فى كثير من أعمالهم الادبية الكبرى ؛ مثل قصص « الأيـــام العشرة » للكاتب الايطالى بوكتايو ، واقتفى شوسر ، أبو الشـــعر الانجليزى ، أثر بوكاشيو فى ذلك فكتب « قصص كانتربورى » •

يقول هوجوفون (١) : « من مزايا ألف ليلة وليلة تعبـــيرها عن المشاعر الانسانية العميقة واشادتها بالمعانى السامية كاكـــرام الضيف والتقـــوى والوفاء وما الى ذلك من الفضـــائل » مما جعـــل الكثيرين يحتذونها •

كذلك قصة السندباد تتحدث عن عجائب البحار النائية والبلدان العجيبة فى وفرة وحيوية ، وقد ترجمت هذه القصة ومن قبلها « كليلة ودمنة » ، فكانتا مصدرا للالهام والتأثر •

---

(١) ص ٢٥٨ الأدب المقارن طه ندا •

ونحجت هذه القصص الشرقية كل هذا النجاح لاثارتها خيال القراء الأوربيين وحملها لهم الىأجواء غريبة عليهميختلط فيها السحر بالغموض فقدمت اليهم لونا جديدا من الأدب لم يكن معروفا بينهم •

ويقول بعض المؤرخين آن تفوق الاسبان فى عالم البحار ناتج عن أثر هذه القصة فى خيال عامتهم ، مما جعلهم يغامرون فى البحـــر وسرى هـــذا النوع من الادب لطرافته وســـهولته ، فلم يكن وعظيا ، ولم يكن راسما للشخصية ، وانما كان ساردا لطائفة متعاقبة متراصة من العجائب التى تظهر كل منها على حدة ، وقد وصل هـــذا النوع من القصص الى اسكندیناوا قبل غيره وأثر فى أدب تلك المنطقة النائية • فتفاعلت الرؤية الغربية معها وأنتج هذا التفاعل قصصا تشبه فى تكوينها الى حد بعيد القصة العربية فى مبناها وفحواها •

وكتاب « كليلة ودمنة » ، فقد ذاع فى ايطاليا فى بلاد فردريك النورماندى ، وكان البابا يشكو من فردريك تشجيعه للعلم الاســـلامى فى جامعته التى بناها فى نابلى ، وقام بالتدريس فيها بعض العلمـــاء المسلمين ، « وكان الأسبان من أسبق الشعوب الأوربية الى ترجمة هذا الكتاب واذاعته بين الأوربيين وكان الملك ألفـــــونس الحكيم من أكبر الشخصيات التى تأثرت بالثقافة الاسلامية وقد أمر بترجمة هذا الكتاب واتخذها المستشرقون مرجعا فى دراساتهم » •

« فى هذه البيئة الجديدة للتراث العـــربى ترجم كتـــــاب « كليلة ودمنة » ، الى اللاتينية ، وعنها ذاع وعرف فظهرت مقلداته وترجماته ، حتى وصلت فى منتصف القرن السادس عشر الى انجلترا نفسها وظل هذا النوع من الادب الوعظى ينتشر ، مرحبا به ، يوقظ وعى الشـــعب

منبهة اياهم الى تعاليم الكنيسة الحقة ، وكان سببا فى افاقة المجتمع وحثه على الخلق القويم ، وفتح المجتمع عينيه على هذه القصص الرمزية التى ترسم الصورة المثلى لمجتمع يسوده العدل والحكمة ، وكان مثلهم ورائدهم فى ذلك ما عرفوا من قصص العرب » (١) •

وكذلك القصة العربية (حى بن يقظان) للفيلسوف الأندلسى ابن طفيل ترجمت الى العبرية سنة ١٤٣٩ م ، والى اللاتينية سنة ١٦٧١ م ، ونقلت بعد ذلك الى مختلف اللغات الأوربية ، حتى جاء الكاتب الانجليزى دانيال دى فو ، فكتب على غرارها قصته المشهورة « روبنسون كروزو » ، يقول جب عن أثر القصص الشرقية فى القرن الثامن عشر (٢) •

« ان الحركة الرومانتيلية فى العصور الوسطى هى بلا ريب عربى خالص » •

وتأثير الثقافة الاسلامية فى دانتى وملحمته « الكوميديا الالهية » ذائع معروف •

وقد بلغ من تأثير الثقافة العربية فى آداب أسبانيا أن لغة أسبانيا بها كثير من الألفاظ العربية وان حاول الأوربيون حذف تلك الكلمات الا أنهم لن يستطيعوا التنصل من التأثير الكبير للحضارة العربية (٣) فى حضارة أسبانيا المتمثلة فى الحضارة الأندلسية التى تركت بصمات واضحة فى التقاليد والعادات الاسبانية ، والكلمات العربية فى اللغة الاسبانية تزيد

---

(١) الأدب المقارن : خفاجى ط ١ • الأدب المقارن : غنيمى هلال ط ٢ •

(٢) رأى « وارتون » فى كتابه « تاريخ الشعر الانجليزى نقله حب الى كتابه تراث الاسلام ص ٢٠٣ للاستشهاد •

(٣) راجع مجلة قافلة الزيت سنة ١٩٦٢ (موضوع تأثير العربية فى الأسبانية) •

عن خمسين كلمة (١) ، هذا عند بعض الباحثين بينما يرى بعضهم أن الكلمات العربية أو شبيهاتها فى الأسبانية لا تكاد تحصر ولاتحصى»(٢)٠

وقد تطورت اللغة (القشتالية) الاسبانية عن أصولها الرومانية أو اللاتينية المحلية ، وهى اللغة التى كانت سائدة فى العصور الوسطى بين النصارى الاسبان ، سواء فى الشمال ، أو بين المستعمرين وهم الأقليات النصرانية الاسبانية التى كانت تعيش فى المدن الأندلسية الاسلامية ، ولا سيما فى القواعد الكبرى مثل قرطبة وبلنسية وجيان واشبيليه الأكثرية المسلمة ، فحدث تفاعل بين العربية والرومانش ، وهى لغة الأقلية النصرانية ، ونقل النصارى المعاهدون كثيرا من الألفاظ العربية الى لغتهم الرومانش ، كما نقل العرب بعض الألفاظ اللاتينية الى لغة التخاطب فيما بينهم ٠

وقد ظل التأثير ينمو ويشتد ، ولا سيما بالنسبة للرومانش أو اللغة القشتالية فيما بعد ، وهو ما يرجع بلا ريب الى قوة مؤثرات الحضارة الاندلسية المتفوقة ، والى حاجة اللغة القشتالية الى الاشتقاق من لغة أصحاب هذه الحضارة للتعبير عن كثير من الأشياء والمظاهر التى نقلت عنهم ، وذلك سواء فى النظم الادارية أو العلوم أو الصناعة أو الزراعة أو العمارة أو غيرها ٠

وقد ترك هذا الاشتقاق من العربية أثره القوى فى اللغة القشتالية أى الاسبانية ، واللغة الاسبانية هى اللغة اللاتينية الوحيدة ، التى يوجد بين حروفها (الخاء) و (الثاء) وتتمثل فى كلماتها بكثرة واضحة وذلك على غرار ما هو حادث فى العربية ، وتوجد فى اللغة الاسبانية

---

(١) مجلة المعرفة السورية عدد يوليو ١٩٦٢ ٠
(٢) انظر ص ٣٢ من هذا البحث ٠

كلمات كثيرة جدا ترجع الى أصول عربية ، ومن القواعد المسلم بها أن كل كلمة أسبانية تبدأ « بال » هى عربية الأصـــل تبدأ بأداة التعريف

يقول كراتشكوفسكى، «أما اللغة العربية الفصحى فأصبحت اللغة الرسمية ، وكانت اللغة الوحيدة المستخدمة بكل قواعدها فى الـكتابة ، وبالتالى فى الأدب وفى المصالح وفى المدارس » (١) •

ومن الكلمات الاســبانية المأخوذة من العربية هــذه الكلمات على سبيل المثال :

القاضى ــ الفارس ــ الساقية ــ القرية ــ الجب ــ المخــدة ــ القنطرة ــ الفندق ــ الخــزانة ــ الجــوهر ــ الشرفة ــ القنديل ، وغيرها من مئات الكلمات •

وقد جمع المستشرق (دوزى) فى معجمه هذه الكلمات الاسبانية ذات الأصول العربية ، وكذلك معجم المستشرق الاسبانى (ايجيلاث) ، وفى ذلك ما يدل دلالة واضــحة على مبلغ الآثار العميقة التى خلفتهــا اللغة العربية فى اللغة الأسبانية منذ بدأت فى صورة اللغــة الرومانية فى العصور الوسطى ، ثم تطورت الى القشتالية أو الاسبانية الحديثة •

ثم التماثل العجيب بين العادات والتقاليد الاسبانية وبين العادات والتقاليد العربية والشرقية ، ســواء فى الحيــاة المنزلية أو التصرفات الخارجية ، وسواء فى تبادل التحية والحفاوة ، وفى آداب الطعــام ، وفى ابداء الاستحسان ، وفى ألوان المرح ، ولا سيما الرقص والغناء ، ذلك التماثل الذى يجعلنا ندرك عمق تأثير الحضارة الأندلسية فى الأمة الاسبانية •

---

(١) ص ٦٢ الشعر العربي فى الأندلس ــ ١٩٧١ كراتشكوفسكي •

ويقول الباحث الأسبانى (كونتالث بالنثيا) (١) عن رسالته «تأثير الحضارة العربية » فيما يتعلق بتأثير اللغة : ان اللغة العربية تتمثل في الاسبانية ، وفى مصطلحات الجغرافيا والنظم والفنون وأسماء الحيوان والنبات والحرف والألوان ، والأدوات المنزلية وغيرها ، وهو يجمل هذا التأثير فى تلك العبارة الجامعة : « ان اللغة الأسبانية تعرض بلا ريب للسائح تلك الآثار الخالدة ، التى تركتها الحضارة العربية فى أرضنا » .

لقد بقيت كلمات عربية كثيرة فى لغات اسبانيا والبرتغال ودخلت في قواميسها وآدابها ، وألسنة أهلها حتى ليقال ان ربع الاسبانية مأخوذ من العربية ، وان البرتغالية تضم ثلاثة آلاف كلمة عربية .

وكان الأدب العربى هو أدب المثقفين الاسبان ، واللغة العربية هي لغة الصالونات فى قصور الاسبان ، الى حد أن كاتبا اسبانيا مسيحيا متعصبا اسمه (الفارو) عاش فى القرن التاسع الميلادى يقول : « وا أسفاه ... ان الجيل الناشىء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدبا ولا لغة غير الأدب العربي واللغة العربية ، وانهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ، ويبالغون فى الثناء على نفائس الكتب العربية فى حين يأنفون من الكتب المسيحية بدعوى أنها لا تستحق أن يلتفت اليها . ان المسيحيين نسوا لغتهم ، فلا تجد اليوم واحدا منهم بين كل ألف يكتب بها خطابا لصديق » .

وجل الأدب الروائى الأسبانى متأثر بروح عربية محضة حتى ان وزن الشعر الثمانى التفاعيل هو فى أصله بحر اتخذه الشعراء الاسبان

---

(١) ص ٣١ ـ ١١٢ تاريخ الشعر العربى فى الأندلس سنة ١٩٢٨ ، وفيه ذكر لأكبر شعراء الأندلس مع دراسة مقتضبة لخصائص التيارات الأدبية الرئيسة .

ونظموا به على قافية واحدة تتكرر فى جملة الأبيات على نحو ما هو مألوف فى الشعر العربى ، وقد ألف خوان مانويل (١) « حكايات الكونت لوكانور » وفيها قدر كبير من التراث القصصى الشرقى » ويشير المؤلف الى أن الاسم يدل على الأصل العربى الذى أخذ منه واسم « لوكانور » محرف عن لقمان •

وفى بيئة اسبانيا جلب المؤلفون نماذج من الشرق ، وقلدوها فى ألوان أخرى من القصص القصيرة ، وجلبوا مقامات البديع والحريرى وغيرهما ، وأخذت ترجمات هذه المقامات الى الاسبانية ثم الى اللاتينية تؤتى ثمارها فى التأثير ، فاذا بطل المقامات هذا الأديب الواسع المعرفة بالأدب ذو الذوق الرفيع والحاسة النافذة عيسى بن هشام يصبح بطلا من أبطال القصص فى أول عهدهم بكتابة الرواية ، انه صورة لصاحب المواهب الذى لا يعترف به العصر ولا أهل العصر ، لذلك هو بائس فقير يتجول من بلد الى آخر فى سبيل الرزق فيلقى الجهلة والسخفاء وأصحاب السلطان ، وهو وحده الذى يعرف وهو يفهم ويدرس ، ومع ذلك تمر لوحة الحياة من أمامه هازلة ساخرة سخرية مريرة ، واذا هذا الموهوب الفقير جواب الآفاق يصبح صورة مكرورة فى كثير جدا من تآليف الأدب ، حتى اذا جاء (سرفانتى) مؤلف (دون كيشوت) ، وهى أول رواية أوربية ، تأثر بهذه الصورة فى روايته تلك ، والشبه الكبير بين بطل (سرفانتى) وبطل المقامات البديعية قد أشار اليه الغربيون أنفسهم ، وبعض العلماء يرى أنها كتبت فى الأصل بالعربية ، وكان كاتبها عربيا اسمه سيدى حامد بن انجيلى (٢) •

أما الأدب الذى فتح أمام الغرب آفاقا واسعة من الخيال والصور

---

(١) ص ٢٦٠ الأدب المقارن طه ندا •

(٢) ص ٢٥٥ الأدب المقارن • طه ندا •

والمعلومات ، فلقد كان أدب الرحلات • لقد عرف العرب هذا اللون من الأدب الطريف ، وألفوا فيه كثيرا من الكتب أشهرها (رحلة ابن بطوطة) من الأدب الرسمى ، ورحلة التاجر سليمان ورحلات « السندباد » من الأدب الشعبى ، ونقلت هذه الرحلات مترجمة الى لغة الأدب هنالك اذ ذاك ، فوجد فيها مؤلفو القصص مادة وفيرة ما كان يمكن أن يجدوها فى غيرها ، اذ كانت تجاريهم فى الرحلات والأسفار قليلة فاستهواها هـذا الأدب ، وقد تأثر بها «بوكاشيو» (١) ، «شوسر» وغيرهما (٢) •

وقد تأثر الاسبانيون بطريقة الموشحات العربية الأندلسية وبالزجل وذلك فى القـرن الثامن الهجرى فى حين لم يكد يبزغ فجـر القـرن السـادس الهجـرى حتى أصـبح منتشرا بين شـعراء (لانجدوك) (وبروفانس) بفرنسا وقد عنى (جوليان ريبيرا) (٣) الأسبانى بدراسة هذا الموضوع ونشر فى سنة ١٩١٢ بحثا قال فيه : ان ظهور هذا النوع من نظم الشـعر بفرنسا لم يكن وليد المصـادفة بل علينا أن نبحث عن أصله فى الموشح وشعر الزجل العربى ، من حيث الالهام والوزن وتنويع القافية ، بعد أن انقضى العهد الذى كان الشعراء فيه ينسـجون على منوال الشعر اليونانى اللاتينى ، ولا شك فى ان الشعر طاف شواطىء البحر المتوسط حتى انتهى الى أوربا سالكا طريقه من بلاد اليونان الى أوربا فاسبانيا ، ومنها ـ بواسطة العرب ـ الى فرنسا •

« وان الشعر العربى فى أسبانيا ليس مجرد حقيبة فى تاريخ الأدب

---

(١) الموشحات : كلمة مأخوذة من وشاح ، ومعناها رباط ذو صفين من الأحجار الكريمة المختلفة لألوان تليح لبناء الموشـحة ، ص ١٠٥ الشـعر والبيئة فى الأندلس ـ ميشال عاطى •

(٢) اهتم ابن خالدون بهذا النوع من الشـعر فى مقدمته ويتحدث عنه كثيرا • ص ٦٦ الشعر العربى فى الأندلس • كراتشكوفسكى •

(٣) ص ٧٢ الشعر العربى فى الأندلس •

العربى واذا كان قد اختفى من الأندلس فان الصـــورة الشـــعبية قد استمرت فى الحياة واتسع انتشارها » .

ومن مؤيدى رأى قيام الصلة بين الزجل العـــربى بأسبانيا وشعر التروبادور (١) بفرنسا : « نيكل » و « روبير بريفو » وقد نشر هـــذا الأخير كتابا فى هذا الموضوع بعنوان « الشعراء التروبادور » ، ومن معارضيه المستشرقين البرتغالى (رودريجنيرلابا) الذى قال : ان هذا النوع من نظم الشعر كان موجودا باللغة الرومانية فى شـــبه جـــزيرة أسبانيا قبل ابن قزمان (٢) ، ولكنه لم يقدم دليلا واضحا على نظريته ، وكذلك قال بعض المستشرقين الألمـــان والباحث الفـــرنسى « جابروا » الذى يدعى أن البراهين التى يقدمها مؤيد والرأى ليست قاطعة الدلالة عليه ، ويقول : ان شعر التربادور قد يكون فى أوزانه وقوافيه مأخـــوذا عن بعض الشعر اللاتينى المستحدث .

ولا يخفى (منيند زبيدال) عقيدته بأن طريقة نظم الزجل انتشرت فى مقاطعة البروفانس وفى أوربا منذ أخذها جيوم التاسع أمير اكيتانيا عن الأندلسيين ، ولكن يلاحظ أن شـــعراء التروبادور لم يعنـــوا بنظم المركز فى مستهل القصيد ، وهو اعتراض لا يعترف « منيندز بيدال » بأصالته ، لأن المركز وضع فى الزجل العربى ليردده الجمهور مع المغنى بعد انتهائه من كل مقطوعة ، وكان الجمهور كبير العدد باسبانيا أما فى مقاطعات فرنسا فقد كان الشاعر (التروبادور) يعنى بشعره عادة فى القصر أمام الأمير وزوجته ، وبعض بطانته من نساء ورجال ، وهـــذا

---

(١) راجع أثر العرب فى شعر التروبادور (٢٠١ ـ ٢٠٤ دراسات فى الأدب العربى) .

(٢) يحتل مكانا عظيما لا فى أسبانيا وحدها بل فى الشعر العربى ـ ذلك لأنه أول من رفع شكل الزجل الى مستوى أدبى عال . انظر ص ٧١ الشعر العربى فى الأندلس .

جمهور قليل العدد لا يكفى لترديد المركز مع الشاعر بعد كل مقطوعة ، على انه لم يلبث شعراء التروبادور ان استهلوا قصائدهم بالمركز فى القرنين السادس والسابع الهجرى .

أما من حيث الموضوع فان شعراء الزجل العربى (١) وشعراء التروبادور لم يكتفوا بنظم ذلك النوع من الغزل الرقيق الحاشية الذى كانوا يستلهمونه مما أسموه بالعربية « حب الوعة » ذلك الحب الذى أخذه شعراء البروفانس الفرنسية عن أسبانيا الاسلامية ، وبسط أصوله ومميزاته ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » ، بل ان الفريقين تعديا هذا الحب المجرد الى الحب الشهوانى ، وقد خلق شعراء التروبادور حول المرأة نفس الجو الذى خلقه شعراء العرب ، وأحاطوها بالأشخاص الذين أحاطها بهم هؤلاء الشعراء فعندهم أسماء خاصة كالتى عندنا للدلالة على الرقيب والواشى والعذول والحسود ، وعند شعراء العربية أن الطاعة من شروط الهوى ، ولهم فى ذلك الشىء الكثير ، وعند ابن حزم ان من أحب أطاع .

وهذا ما تجده عند جيوم التاسع وزمرته ممن أتوا بعده ، فهم يخاطبون المعشوقة بقولهم : مولاى و (سيدى) كما كان يفعل شعراء العرب ، ويحذون حذوهم فى مخاطبة المرأة أو التحدث عنها فى شعرهم بضمير المذكر ، ويصفون مثلهم تباريح الجوى وآلام الحب واللوعة ، ويرى بعض المستشرقين ان كلمة (تروبادور) التى أطلقت على أولئك الشعراء والتى لا يعرف مصدرها فى الفرنسية — مأخوذة من كلمتى « دور » و « الطرب » العربيتين لأنهم كانوا يتغنون بشعرهم ... فكيف نفسر كل هذا الذى أخذه شعراء التروبادور عن العرب ، الا أنهم

---

(١) يعد ابن خلدون الزجل ظاهرة انحدارية بالموشح (من أعلى الى أسفل) تتمثل فى اقامته قامة شعبية .

اتصلوا بهم فى أسبانيا فى أثناء رحـــلاتهم اليها ، فسمعوا أزجالهم وحفظوها وتاثروا بها فنظموا على منوالها(١) .

يقول لويس فياردو : « كان الشعر الفرنسى على مثال الشـــعر الأسبانى المأخوذ عن الشعر العربى لا عن اليـــونانى ولا عن الرومانى ولقد أخذنا صناعة الشعر والقوافى عن العرب (٢) .

وعلى أى حال فان جيوم التاسع هو اول شعراء التروبادور وأول من قلد الأزجال العربية فى الشعر البروفانسى ، وكان يعرف العربية وكان جيوم هذا فى عنفوان الشباب عندما رحـــل الى الأندلس ســـنة ١١٠١ م ــ ٤٩٤ هـ ، ورحل اليها مرة أخرى عام ١١٢٠ م ــ ٥١١ هـ . فالحب كما عرفه ابن حزم تردد صداه عن جيوم التاسع .

ومن أوائل شعراء التروبادور : الكونت « دى بواتييه » الفرنسى، وكان معاصرا لابن قزمـــان . وقد اشترك فى حملات كثيرة قام بهـــا الافرنج ضد المسلمين فى اسبانيا ، وكان قبل اشتراكه فى هذه الحروب ينظم اشعارا لا قافية لها تختلف كل الاختلاف عن الأشعار التى نظمها على نسق الأزجال الأندلسية عقب اتصاله بالعرب فى الحـــروب التى اشترك فيها ضـــدهم ، وشعراء التروبادور هم الذين وضـــعوا أسس الشعر الفرنسى وأدخلوا فيه تلك الألوان الغزلية التى نقلوها من زجل ابن قزمان وغيره ومن أشـــعار العرب فى الأندلس ، ويقـــول المؤرخ الانكليزى « جوزج كولان » . « ان للأندلسيين موشحات وأزجالا هى أقرب الى أن تكون أصـــل أغانى « التروبادور » ، التى انتشرت حتى عمت أوربا » . ويقول نيكلسون فى كتابه « تاريخ آداب العـــرب » : « ان الشعر الأوربى كان قبل اتصال الأوربيين بالعرب شعرا ســـاذجا

---

(١) راجع دراسات فى الأدب العربى ص ٢١٥ (الحديث عن شـــعراء التروبادور .

(٢) ص ٨٠ الأدب العربى فى الأندلس بالاشتراك .

لا قافية له ، فلما اتصلوا بعرب الأندلس ظهرت فيه القافية ، وسائر الأشعار الأوربية على العموم كانت خالية من القافية ، حتى الشعر اليونانى الذى لم تعهد فيه القافية على الرغم من ازدهاره ورقيه منذ القدم » ، وقد ترجمت قصائد عربية كثيرة الى الأسبانية أدت الى شيوع روح القصيدة العربية بوجه عام فى نتاجهم الشعرى ، ومنها (١) : قصيدة الرندى التى ترجمها فاليرا عن الألمانية الى الأسبانية فاقتبسها خورخه الأسبانى •

ويقول المستشرق « مايكل » : « ان أوزان الشعر الشعبى القديم فى ايطاليا — كما فى أناشيد جاكوبونى وفى أغانى المرافع — لا تختلف عن أوزان الشعر العربى الأندلسى » ويقول الكاتب الايطالى «كيتانى» فى كتابه « نصيب الاسلام فى تدرج المدنية » ان الذى كان لدانتى الشاعر الايطالى من واسع الخيال وجمال التصوير فى شعره ليس الا أثرا لما كان فى قرطبة وبغداد من أدب زاهر أيام كانت أوربا تخبط فى جهالتها » •

وقد تأثر الشعراء فى اسبانيا وفرنسا وجنوب ايطاليا بالشعر العربى فى الأندلس تأثرا كبيرا ، وأثر الشعر الأندلسى فى الشعر الغنائى ، وكان له الفضل فى ظهور المقطوعات الشعرية المقفاة التى تحاكى الشعر العربى فى أفكاره وأخيلته ، والطابع الذى اتسم به الشعر الفرنجى من وصف مناظر الطبيعة وتصوير جمال الحياة لا يختلف عن طوابع الشعر الأندلسى مما يشهد ان الأوربيين نهلوا من معين الشعر الأندلسى يقول « لويس فياردو » : فى كتابه « تاريخ العرب والبربر فى اسبانيا » : كان الشعر الفرنسى على مثال الشعر الاسبانى المأخوذ عن الشعر العربى لا عن الشعر اليونانى ولا عن الرومانى لأنهم لم يقفوا على هذا ولا ذاك قبل القرن الثامن الهجرى

---

(١) ص ١٤٢ ، ١٤٣ الأدب الأندلسى فى عصر الموحدين • حكمة على الأوسى •

حتى يقلدوه ، ولقد أخذنا صناعة الشعر والقوافى عن العرب ، وهذه الصناعة جاءتنا من الأندلس عن طريق مرسيليا وطولون مع التجار الأسبان الذين كانوا يفدون اليهما » • ويقول « ريبيرا » الذى عنى بدراسة التراث الاسلامى فى أوربا : ان الملاحم القشتالية احتوت ألفاظا عربية كالغارة والدليل والقاضى والمغفر والطلائع وغيرها مما يثبت أثر الأدب الأندلسى وشعره فى صميم هذه الملاحم •

يقول استانلى بول (١) : « أما الأدب العربى فان أوربا لم تر فى عهد من عهودها حفاوة بالأدب وأهله كما رأت فى الأندلس ، حين كان الناس من كل طبقة ينظمون الشعر ، ويظن أن هذا الشعر هو الذى أوحى للشعراء المغنيين بأسبانيا بأناشيدهم القصصية وأغانيهم ، وهو الذى حاكاه شعراء بروفانس وايطاليا • وجاء فى خطبة للمسيو « لاجير » بمؤتمر المستشرقين فى مرسيليا عام ١٨٧٦ ان العرب تركوا فى الأندلس أثرا لا يزالون يذكرون به الى الآن فى العلوم والآداب والفنون ، ولقد أخذت عنهم فرنسا كثيرا من ذلك • وقال المؤرخ الاسبانى « كوند » : ان من أدب أهل اسبانيا ما هو مأخوذ من أدب العرب ومتأثر به ،ولا شك أن الاسبانيين مدينون للعرب بلغتهم وآدابهم ، ويقول باحث (٢) : ان معظم ما جاء به دانتى الشاعر الايطالى كان قد ألفه قبله محى الدين بن عربى ، وهذا الشبه لم يقف هنا عند جانب بل هو شامل للصور والأمثال والاصطلاحات حتى الأساليب الفنية ودانتى نفسه يؤكد أن الشعر الايطالى لم يولد فى ايطاليا بل فى جزيرة صقلية التى عاش فيها العرب زمنا طويلا ، وقامت فيها سوق رائجة للغة العربية وآدابها زمنا طويلا ، وقامت فيها حضارة اسلامية ، وكان الشاعر ابن حمديس الصقلى ممن أنجبتهم العبقرية العربية فيها •

---

(١) ص ١٣٣ قصة العرب فى أسبانيا لى بول •

(٢) راجع صـ ٥٠ وما بعدها تأثير الثقافة الاسلامية فى الكوميديا الالهية : صلاح فضل •